باديو مناظرًا هيغل
في اللاتضايف بين الوحدة والتعيين

Tzu-Ching hsu
A. j. Barlett

موقف باديو من هيغل هو موقف مضاد للنفور الفلسفي من الجدل الذي نجده عند أقرانه من المتفلسفة كـ دولوز وفوكو وليوتار. هذا الموقف مضاد أيضًا للماركسية الهيغلية وللتأثير الذي تركته شروحات كوجف. ثمة صميم عقلاني في الديالكتيك وقف عليه ماركس الذي شطر أو قسّم هيغل مستبعدا العنصر المثالي في فلسفته. هذا العنصر المثالي كان هو مدار شروحات وتأملات الأكاديميين في النصف الاول من القرن العشرين من أجل بلورة صورة غير سياسية لـ ماركس. هيغل باديو هو هيغل الأساسي ؛ هيغل لينين وهيغل الذي لا يُفهم كتاب رأس المال لـ ماركس دون فهم كتابه (علم المنطق). يمكن هنا أن نستحضر الانقسام في الستينيات حول هيغل بين ألتوسير ـ الذي أراد تخليص ماركس العلمي المادي من لعنة هيغل الذي يعزو اليه كل قراءة إنسانوية تعاملت تعاملًا مثاليًا مع ماركس ـ وسارتر الذي استعاد ثيْمات من (فينومينولوجيا الروح)، كالاغتراب والوعي الذاتي، حاضرة بقوة في المخطوطات الفلسفية والاقتصادية التي بنى ألتوسير قراءته لـ ماركس على القطع معها. لقد نظر باديو إلى عمل سارتر (نقد العقل الجدلي) بوصفه ربطًا للماركسية بأكثر حقيقة غريبة عنها: شفافية الكوجيتو. من جهته أراد ألتوسير تطهير المنجز الماركسي من العناصر الهيغلية وتقديمه كمعرفة وضعية. كل من ألتوسير وسارتر يتشاركان في توهين هيغل لأنهما ضربا صفحًا عن المنطق الكبير. أن القراءة الوضعية الأكاديمية لـ ألتوسير والقراءة المثالية الرومنطيقية لـ سارتر هما وجهان لعملة واحدة: الانحراف وتفويت هيغل الأساسي. تطغى على فكر القرن العشرين التأليفات المنفصلة حيث لا توليفة بين الحقيقة والترائي وبين الديمومة والحينونة. ثمة مواجهة وجهًا لوجه مع الواقعي في العلم والفن والسياسة عوضًا عن تجاوز التناقضات ؛ هذه الوجهًا لوجه هي السؤال البطولي للقرن. غياب الرفع الديالكتيكي هو ما جرى تعويضه بشغف الواقعيّ. صحيح أن باديو قطع مع الجدل في مشروع الأنطولوجيا الطارحة بَيْدَ أن الكثير من مفاهيمه المرتبطة بفقه الحدث كالبنية والتدخل والإخلاص لن تقطع نهائيًا معه. بل أن باديو في (منطقيات العوالم) سَيُعَنْوِن كامل مشروعه الفلسفي بـ المادية الجدلية في مواجهة ما يسمّيه بالمادية الديمقراطية.

هيغل باديو هو هيغل علم المنطق وليس هيغل فينومينولوجيا الروح. هيغل الذي سيعكف باديو على مناظرته طويلًا بدءًا من مقالته عام 1968 «تخريب لامتناهي الصغر» وصولًا إلى كتاب (منطقيات العوالم) 2006 ـ الذي أعلن فيه أن الفلاسفة الثلاثة الأكثر أهمية هم أفلاطون وديكارت وهيغل، وأنه لم يتوقف أبدًا عن قياس عمله بكتاب (علم المنطق) الذي ينطوي على ما تنشده المعرفة المادية بالوجود والفكر والظهور ـ مرورًا بكتابه (نظرية الذات) 1983، الذي أعاد فيه بناء الجدل الهيغلي من حيث كون الأخير هو ما معه تكون المواجهة العملاقة لكامل مشروع باديو ـ وكتاب الوجود والحدث عام 1988 الذي ناظر فيه هيغل بصدد مشكلة اللامتناهي. ليس المطلوب قلب هيغل بل شطره من صميمه. إن الجدل في منطق الانفصال وكل مفاهيمه منقسمة بين جانب جدلي وجانب غير جدلي. ثمة حاجة للإمساك بمثنوية الاثنين لديه بقدر ما هناك حاجة للوقوف على ما يعيد حركة الفكر لديه إلى الواحد. المطلوب شطر المصفوفة الهيغلية وصولًا إلى النقطة التي تتحوذل معها إلى فقه للحدث وتكفّ عن كونها مغامرة محسوبة للروح. ليس الأمر أن هناك صميمًا أو نواةً عقلانية في الجدل ينبغي استنقاذها عبر كسر أو تحطيم القشرة المثالية التي تغلفها ؛ النواة نفسها يجب كسرها لاثنين. ثلاثة أمور يرفضها باديو بشدة.

أولًا، دائرية الجدل أي أن يكون المزيد بعد محايثًا للبعد

أو أن تكون نقطة النهاية موجودة بعد في نقطة البدء. ثمة مآل أنشوطي للجدل الهيغلي حيث تمثل الكلية كأنشوطة، مربوط آخرها بأولها ومن هنا وجوب تقسيمه ومعارضة التحقيب المادي بالدائرية المثالية. إن السيرورة الجدلية ليست سيرورة دائرية أنشوطية بل سيرورة لولبية.

ثانيًا: إخضاع منطق الانفصال إلى فكرة الكلّية التي قام هيغل بتجويتها داخل سيرورة الفكر. ليس ثمة كلّ عند باديو بالضد من هيغل الذي يعتبر أن لاشيء موجود إلا الكلّ. يقول باديو في (منطقيات العوالم): نتشارك طبعًا مع هيغل الاعتقاد بتهوّي الوجود والفكر. لكن بالنسبة لنا هذا التهوّي هو حدوث موقعي وليس حاصلًا كليًّا. نتشارك أيضًا مع هيغل كونية الحقيقة ولكن ضمانة الكونية هي فرادة الأحداث الحقيقية وليس في كون الكل هو التاريخ لانعكاساته المحايثة.

ثالثًا: الطبيعة الماقبل كانتورية لعلم المنطق الذي يعكسها المفهوم الهيغلي عن اللامتناهي الجيد. ان العبور بين الكيف والكم لا يمكنه ان يخفي الفصل بين الاثنين أو الانشطار الذي تحاول ان تطمسه مفردة اللامتناهي المتفقة أو الملتبسة هنا. ان اللامتناهي الكمي الجيد هو هلوسة هيغلية. بإزاء الانطولوجيا التوليدية عند هيغل يقدم باديو الانطولوجيا الطارحة القائمة على الفهم الكانتوري للكثرات اللامتناهية التي تتمتع بالانتشار الذي أراد هيغل اختزاله من خلال اصطناع سيانيته المتفاضلة.

إن هدية هيغل الثمينة للقرن الواحد والعشرين وبالضد من القرن العشرين ـ الذي كانت السيادة فيه لأنالوطيقا التناهي لـ كانط كما تمت معاودتها بواسطة هيدغر وفوكو ونانسي وميلابو ـ هي البحث عن اللامتناهي العلماني غير الثيولوجي. إن العوز المدقع لميتافيزيقا اللامتناهي التقليدية ليس دعوة إلى اعتناق التناهي الجذري بل إلى تحييث متواصل للامتناهي حيث الرياضيات تخبرنا كما لاحظ هيغل نفسه أن اللانهاية في الجوار. اللانهاية لا تلتقط في الشكل ؛ أنها تعبر في الشكل. اللامتناهي هو كيف المتناهي حين يعبر الـ«في ذاته». استئناف اللامتناهي الهيغلي ضد التناهي الكانطي أو قل جدل اللامتناهي (المعاد تملّكه) ضد أنالوطيقا التناهي أو قل العبور المتواصل وراء التثبيت الهوسي للحواجز: هذا ما يجب أن تكون عليه المعركة الفلسفية للقرن الجديد ضد القرن الفائت. بَيْدَ أن تثمين باديو للجدل الهيغلي سيترافق، والتطور الفكري للأول، مع الخروج التدريجي من الثيمات الأساسية لهذا الجدل (الكلّية، النفي، التفكّر) الذي كان لايزال مُنهّمًا بها فكره في كتاب (نظرية الذات)، وسيُفضي إلى تجاوز الجدل عن طريق الأكسمة (الوجود والحدث) ثم إلى إيلائه مقامًا مشتقًا (كتاب منطقيات العوالم).

نظرية الذات

يتحدث باديو هنا عن الجدل البنيوي الذي أسهم فيه فلاسفة (هيغل) وشعراء (مالارميه) ومحلّلون نفسانيون (لاكان). كل جدل يشطره هيغل إلى شطرين سالب وموجب حيث مأزق كل جدل هو جزء غير منفك عن جدلنة الجدل. بالنسبة لـ هيغل ثمة انقسام بين لحظة البدْء والاغتراب (العودة) وبين الإنفصال أو الإنشقاق حيث كل وحدة تكون عبارة عن انقسام ثابت لنقطة انطلاق غير آمنة. الاغتراب يسلك طريقًا دائريًا: الصيرورة آخرا هي جزء من مسار العودة إلى الذات ؛ مسار مدفوع بضرورة داخلية. العملية الثانية هي الانفصال، كانشطار أصلي. ليس ثمة من صلة إستشرافية أو إسترجاعية بين الاغتراب والإنفصال. ليس ثمة إمكان لتأسيس الاغتراب. إن واقعيّ هيغل هو الإنفصال الثاوي تحت الاغتراب. ثمة 3 حركات فكرية هنا مضادة لـ هيغل.

أولًا: عندما جعل هيغل الشيء ما فإنه جعله كفرق مع شيء ما آخر. الإنفصال لازم للمضي قدمًا وهذا ما سيطمسه هيغل في طريقه إلى المفهوم. إن الإغتراب الذي يَسِمُ الإنقسام هو حجاب على الانفصال. كل شيء يحدث كما لو ان الشيء ما الغير هو جعل بعدي للشيء ما أي أن الشيء ما يتكرر في شيء ما آخر. إن التكرار هو سيرورة تحجب الانفصال الذي يجعل المثنوية ممكنة.

ثانيًا: وظّف باديو صورنات مع تمييزات اصطلاحية (التمكن splace وخارج المكان) من أجل وسم الإنفصال البنيوي المحايث بين الوجود (الوجود ككل) والعدم (اللاشيء حيث الوجود ككل يجد إتساقه عبر نفي اللاشيء). ثمة توسل هنا بالجبر والطوبولوجيا لتفكيك صلة الكل بالأجزاء. هذه الصورنات تنزع الفينومينولوجيا عن منطق هيغل الحتمي ووحدة النقائض لديه.

ثالثًا: يفكك باديو مفهوم التناقض عند هيغل إلى الفرق، التضايف، والجعل. ويعيد صياغتها تباعًا بالجدل البنيوي

والتاريخي، ومنطق الأمكنة والقوى. الهدف هو معاودة مادية هيغل لتقديم نظرية صورية للممارسة الثورية: الذات المتمكنة ستكون، من حيث هي خارج المكان، قوة انزياح لهذا التمكن.

كان باديو هنا لا يزال متمسكًا بالكلّية والنفي والتفكر المربوط هنا بضرب مخصوص من الفعل. في هذا الكتاب لم يكن باديو قد قطع مع الجدل «كقانون للوجود» و«كقوة للذات» والذي يتيح الربط البارادوكسي بين الكلّية والنفي والتفكّر: هذه المظاهر الأخيرة هي ما سيجري التخلّص منها في كتاب الوجود والحدث.

الوجود والحدث

موقف باديو هو موقف مضاد لـ هيغل في مسألة اللامتناهي وذلك منذ مقالته عام 1968 «تخريب لامتناهي الصغر». ثمة رفض شديد لثنائية اللامتناهي الجيد واللامتناهي السيء. اللامتناهي السيء هو اللامحدد أو اللامحدود أي هو صورة تعكس الازدياد الذي لا يتوقف لكمية معطاة. مشكلة اللامتناهي هي على صلة مع مشكلة المتصل والمنفصل (القسمة اللامتناهية للخط عند زينون). هذا الضرب من اللانهاية هو زائف عند هيغل لأنه «نفي فقط للمتناهي المجعول كواقعي» إنه النفي الأول المجرد. اللامتناهي الجيد هو الذي ينسخ نفي المتناهي في اللامتناهي السيء. اللامتناهي الجيد هو لامتناهي دينامية الصلة الذاتية أي هو صيرورة متعينة بواسطة لحظاتها. إنه ليس هوية ساكنة بل سيرورة تأخذ جانب السلبية المحايثة لتهوي الوجود واللاشيء. إن اللامتناهي السيء محايث للكم، بَيْدَ أن المتناهي لا يُنسخ بواسطة اللامتناهي كقوة خارجة عنه: لانهائية المتناهي تكمن في نسخه لنفسه. هكذا ينسخ التقابل بين اللامتناهي والمتناهي بوصف الأول صلة ذاتية للموجود المتعين .

يعترض باديو على المناورة أو التلاعب الهيغلي في نسخ الكم إلى كم محدود. يبدو اللامتناهي السيء كذلك نتيجة محاولة شد اللامحدد إلى لانهاية كيفية متميزة حيث اللانهاية الفاسدة تقوم على مجرد نفي المتناهي. كان اعتراض باديو ـ منذ تخريب لامتناهي الصغر 1968 ـ أن اللامتناهي ليس عددًا أو كمًا. اللاكفائية المزعومة للامتناهي الفاسد ليست سوى ظلال للفكرة المتناقضة عن اللامتناهي ككل أو كواحد. لقد عالج هيغل مسألة زائفة وقدم هدية مسمومة للرياضيات مستندًا على الغائية الجدلية للوحدة. المشكلة هي في تضايف الوحدة والتعينية. لا يمكن للامحدود الرياضي أن يكتسب الوحدة دون أن يتجاوز مجرد الكم. علينا أن نضرب صفحًا عن الوحدة كمعيار للتعيّن. إن تعين اللامحدود الرياضي هو أكثر من النفي المجرد. اللامحدود اكتسب بنية داخلية منذ ديكارت وهذا يجعل التحليل المنطقي لـ هيغل تافهًا. المنحنى المتصل مثلًا. هذا إذا لم نذهب لعرض لامتناهي هيغل على المبنى الرياضي للتحليل الواقعي ونظرية المجموعات عند كل من ديدكند وكانتور الذي يتعامل مع اللانهاية كلانهاية فعلية. إن توصيف اللامتناهي بالسيء هو جهل بالتعيين البنيوي للامحدود. التعيين الرياضي يتوسل بالبنية لا بالوحدة unity. ليس ثمة تضايف بين الهوية والتعينية ؛ ثمة بديل صوري لالتقاط الكثرة غير المتسقة. لقد انتقد هيغل الرياضيات في (فينومينولوجيا الروح) حيث اعتبر أن الفاهمة الرياضية تمثل درجة أدنى معقولية من العقل. كذلك ذهب إلى أن الرياضيات لا تلامس ماهية الشيء نفسه أو فكرته وبالتالي تفشل في فهمه. لكن يبدو انه في علم المنطق لاحقًا سيلاحظ هيغل أن الرياضيات قد مارست الجدل على نحو مضمر (حساب لامتناهيات الصغر عند نيوتن وليبنتز حيث يهمل الفارق بين الوجود والعدم حين يتم التعامل مع المقادير المتلاشية للامتناهيات الصغر كما لو أنها صفر). رغم هذا موقف هيغل يبقى كالتالي: اللامتناهي الرياضي مشذر وغير كاف ولا يجد حقيقته إلّا في تأليف أعلى بين الكم والكم المحدود. نقد هيغل كان لاذعًا للفاهمة. لكن الرياضيات اللاحقة لم تفعل سوى مواصلة الاشتغال انطلاقًا من الفاهمة. عمل كانتور وديدكند هو من نتاج الفاهمة. إن نقد باديو لفكرة اللامتناهي عند هيغل سيتنامى ليتحول إلى هيغلية مضادة هي عبارة عن بديل طارح للتعارض الجدلي. النزاع بينهما بصدد اللامتناهي هو نزاع حول التمييز بين الوحدة والتعينية. اللامتناهي يكون سيئًا عند هيغل حين يكون نفيًا مجردًا للمتناهي. بالنسبة لـ باديو يمكن أن يتعين اللامتناهي حتى لو كان غير مكتمل أي حتى لو لم يشكل وحدة. ثمة سياقات متشعبة في الفلسفة للامتناهي. الأبيرون كلا متعيّن عند أنكسمندر. اللامتناهي كمطلق في المسيحية. لم يكن قبل كانتور أي فهم عيني للامتناهي الرياضي ذلك أن فكرة اللامتناهي الفعلي نفسها بدت قبل ذلك متناقضة (أي رقم مهما كان

كبيرًا يمكن زيادة واحد عليه). ثمة أيضًا مفارقة زينون حول إقران mapping الكميات المنفصلة بالمتصل: ليس ثمة قطع نهائي ولهذا تحدث أرسطو عن اللامتناهي بالقوة. إن الرقم الأكبر سيبقى متناهيًا. مثلًا برهان أقليدس حول وجود عدد أولي أكبر لكل مجموعة نأخذها من الأعداد الأولية. هذا الرقم وإن كان غير محدّد إلّا أنه ليس لامتناهيًا لكن يمكن القول أنه غير محدد indefinite. في حساب تفاضل لامتناهيات الصغر عند نيوتن كانت الفكرة إيجاد إقران mapping وهمي بين المنفصل والمتصل. مثل على ذلك المضلّع polygon في الدائرة. كلما اقتربت أضلعه من اللانهاية سيقترب طول كل منها من الصفر. هذا الطول سيكون عبارة عم كمية وهمية ولامحدّدة من فرط الصغر. الرياضيات في القرن 19 ستستثمر في مفهوم اللامحدود ؛ اللامتناهي يتشكل بواسطة علاقات إقرانية mapping. ثورة ديدكند وكانتور تمثّلت في التغلّب على مفارقة زينون أي إقامة صلة تناظرية بين المنفصل والمتصل. تعريف اللامتناهي عند ديدكند يتم كالتالي: السستام يكون لامتناهيًا عندما يكون مماثلًا لجزء من نفسه، أي عندما نكون أمام دالة التناظر الأحادي bijection بين المجموعة ومجموعة فرعية. إن ما كان لامحدودًا أو غير محدد indefinite عند اليونان أصبح متعيّنًا determinate في الرياضيات. اللامتناهي تحول إلى موضوع عندما تحول إلى مجرد صلة. لقد تمَّ إحلال العابر للتناهي transfinite مكان اللامتناهي كلامحدود. هكذا صرنا نتحدث مع كانتور عن اللانهاية القابلة للاحتساب واللانهاية غير القابلة للإحتساب وعن هيراركية في اللامتناهيات. لقد تمت حَوْسَبة اللامحدود. وبالتالي نرى انه منذ الحساب التفاضلي إلى الحساب الواقعي لـ ديدكند مرورًا بدالة كوشي وحدّ فيرستراس، جرى تخليص الرياضيات من الحدوس الهندسية وفرض لغة الأنماط الصورية. ما يهم تأكيده أن القبول باللانهاية الفعلية تمَّ في سياق إعادة تشكيل الصلات البنيوية للامحدود وليس الكشف عن طبيعة العدد الأكبر أو كميته. ثمة تعيين بنيوي غير كيفي لتصور التمييز بين المتناهي واللامتناهي.

إن اللامتناهي عند كانتور هو لامحدد من منظور هيغل. اللامتناهي كعابرللتناهي transfinite يبقى غير كاف لتشكيل كلية totality. إن اللامتناهي كلامحدود ليس تعيينًا سالبًا مجردا ذلك أن الـ فوق المتناهي ليس نفيًا للمتناهي لأن الوجود المتناقض للعدد الأكبر ليس نفيًا لجمهرة multitude من الأعداد اللانهائية كما أن اللامتناهي كلامحدود ليس نفيًا مجردًا لأن انساق الـ orders العابر للتناهي تُنتج من التمييزات المحايثة ضمن الكم، أي انها تنتج من الصلات العينية المتناظرة والتي تكون داخلية لطبيعة الكم نفسه. في «تخريب لامتناهي الصغر» يشير باديو إلى أن هيغل قدم للرياضيات الهدية السامة المتمثلة بالصلة الكيفية بما ينطوي ذلك من الحط من شأن الفكر البنيوي.

إن كتاب الوجود والحدث هو عمل مضاد لـ هيغل بامتياز حيث سيتخلص باديو من الجدل كتوجيه للفكر ومن الكلّية كفكرة ناظمة ومن النفي كصلة بين الاغتراب والانفصال وسيعيد تنزيل التفكر ضمن نطاق موقعي محدود. النقطة الأساسية للاشتباك مع هيغل ستكون حول مفهوم اللانهاية كما قدمها هيغل ضمن جدل الحد (limit) والحد الفاصل (schranke, boundary).

كان هيغل قد قلَّل ـ في مقدمة فينومينولوجيا الروح ـ من شأن الرياضيات قياسًا بالمعرفة الفلسفية التي تتضمن وجود الشيء وماهيته بينما المعرفة الرياضية تقدم فقط تكوين الوجود الذهني للشيء. المعرفة الرياضية غرضها المقدار magnitude وعلاقتها بالشيء غير أساسية وفاقدة للفكرة notion. في علم المنطق ميّز هيغل بين اللامتناهي الميتافيزيقي واللامتناهي الرياضي: الأول لا يبطل الثاني والثاني لا يعارض استدلالات الأول ولا يستطيع الوصول إلى خلاصة بشأن حالته الخاصة. التصوّر المحض للامتناهي ينكشف في العلم من دون أن يكون الأخير قادرًا على تفكيره. لتوليد البنية من الإبداء يتوسّل هيغل بطريقة تجميعية محايثة لتأمين الحركة من نقطة الوجود، ووحدتها غير المتفاضلة مع اللاشيء، إلى التعين الذاتي للامتناهي الجيد. هذه الطريقة هي الجدل المعتمد على قسمة تشغيلية بين الحد والحد الفاصل (schranke). هيغل كله يتلخّص بهذه الجملة «المزيد بعد محايث للبعد». المزيد بعد هو متجاوز، والبَعْد، والتعينية؛ هذه العناصر الثلاثة هي ما تؤمّن عمارة المفهوم ونقطة بداية الجدل. إن انبثاق الموجود خلال سيرورة التعيين يتطلب ـ في المجعولية التي يمليها التعين ـ أن ينقش فعل الجعل نفسه ترددًا (ازدواجية، تناقضا) في تعيينه (أو تعينه)، وذلك ما يدفعه ضرورة إلى المضي وراء نفسه.

يقول هيغل: الشيء ما في حدّه يكون ولا يكون. هذه

اللحظات هي مباشرة وهي تمييزات كيفية. لهذا وجود الشيء ما ولاوجوده يقعان خارج بعضهما. الشيء ما يمتلك وجوده خارج حده (أو في داخله بالنسبة للتمثيل) وبالطريقة نفسها الشيء ما الآخر يمتلك أيضًا وجوده خارج حده. الحد هذا هو نقطة المنتصف بين الاثنين حيث يفترقا. إنهما يمتلكان وجودًا (يكونان) وراء حدّهما: الحدّ، كلاوجود كل منهما، هو آخر لهما. الموجود، وفي كونه محدودًا، له وجود وراء صيرورته نفسها عبر كونه محدودًا، وهذا الوجود هو ما يدفع الموجود وراء الحد الذي جعله هو هو. واحد الوجود يذهب وراء الذي وسمه كموجود وذلك كي يتجاوز الوجود لا وجوده وهذا بتأويل باديو يقتضي أن تكون اللانهاية موجودة بعد في أي لحظة من لحظات الوجود مع كونها بالتزامن لن تكون حتى تكون. اللانهاية هي قانون الوجود بالنسبة لـ هيغل وكانت كذلك بالنسبة لـ باديو في نظرية الذات لكن في الوجود والحدث ستتحوّل إلى مجرد مسلّمة. هيغل يشتق اللانهاية من التولد المحايث للمتناهي من لاشيء الوجود نفسه. ولهذا على المتناهي أن يكرّر نفسه إلى ما لانهاية. هذا التكرار غير المحدد indefinite لا يكفي بحسب نظرية المجموعات لتأمين اللانهاية التي تحتاج إلى مسلّمات. يقول هيغل «كونية المفهوم هو الماوراء المتحقق (المنجز)، حيث اللامتناهي السيء يبقى منكوبًا بماوراء بعيد المنال ويبقى مجرد تقدم إلى اللانهاية».

كيف ننتقل من اللامتناهي السيء إلى الماوراء المنجز؟ يقول باديو: «وراء تكرار نفسه، يحتجز الشيء ما، في فائض ذلك التكرار، القدرة الحاضرة والأساسية على أن يكرر نفسه». اللامتناهي الجيد يجذب العودة الباعثة للفراغ الأولي للإبداء نفسه بحيث أن «واحدًا بعد» من الغير يستسلم لمكان الآخر الكبير Other (قدرة الفراغ اللانهائية الموجدة للتكرار). يلاحظ باديو هنا أن جدل المتناهي/ اللامتناهي، اللامتناهي الجيد/ السيء، الغير/ الغير الكبير يُشطر إلى جدل الكمية/ الكيفية. مبدأ اللانهاية الكيفية هو التهوي ومبدأ اللانهاية الكمية هو الانتشار (التكاثر) وهما مختلفان لجهة حيثية تولدهما. الكيفية تنشأ من التباس الحد/ الحد الفاصل كسيرورة توليدية محايثة بينما تمتلك الكمية وسمًا برانيًا كمبدأ لها: الواحد/ الآخر دون أي قدرة داخلية أو جوهرية على التولّد. لمواجهة تهديد الانتشار أدخل هيغل الماهية الكيفية التي من شأنها أن تستدخل برّانية الانتشار الفارغ. لكن هل ثمة تسويغ لتسمية الكيف الكمي (أو العلاقة الكمية) باللامتناهي؟ «لا مشكلة عندي في وجود ماهية كيفية للكم. ولكن لماذا تسميتها باللامتناهي؟ الاسم يناسب اللانهاية الكيفية لأنها سحبت من الفراغ والفراغ كان القطب العابر للتناهي للسيروة. في الانتشار العددي ليس ثمة فراغ لأن خارجيّة الواحد (الكبير) هي داخليته، أي القانون المحض الذي يجعل النفسه ينتشر كواحد».

العدد يعود ليقطع المحاولة الجدلية لوصل المتناهي واللامتناهي، الكم والكيف، والجيد والسيء. ما يريد باديو أن يخلص إليه هو أن الوجود المفكر رياضيًا يجب فصله عن الكلّية المولّدة عبر مخاضات السلبيّ. إن التأمل الخامس عشر هو صلة الوصل بين القسم الثالث (الوجود: الطبيعة واللانهاية. هيدغر/ غاليلو) والقسم الرابع المعنون بـ (الحدث، التاريخ، والواحد الفائق) وما تخلص منه باديو (الكيف، التناقض، السيرورة المحايثة أو الذات)، يعاود الظهور على مستوى سيرورة الحدث ـ الحقيقة. إن تفكير الحدث هو متناقض وغير متسق ومربوط بمثنوية غير قابلة للاختزال. اسم الحدث هو كيف خالص ويستند على التدخل المرتبط بحدث آخر. كثير من سمات الجدل الكيفي عند هيغل ستنسب إلى عمليات الحدث ـ الحقيقة أي إلى ما ليس هو الوجود من حيث هو. ظلال هيغل في مفهوم الحدث ستنسب إلى الشعر وتحديدًا إلى مالارميه وهذا استحضار ما بعد هيغلي للشعر الذي نظر إليه هيغل كسيرورة حقيقة تجاوزها عصره.

منطقيات العوالم

ترتبط الميتافيزيقا بالأيديولوجيا ارتباطًا ما بعد ألتوسيري عند باديو. هو لا ينكر ان المادية الديالكتيكية هي أيديولوجيا. المادية هي فرضية والجدل هو الحيز الذي فيه يتم الاختيار. في هذا الكتاب ثمة نزاع مع هيغل بصدد الكل، والنفي، والتفكر.

كيف يمكن تفكير الحقائق والأحداث والذوات في ظهورها أي في كونها تكون في عالم ما. يتم تفكير الظهور هنا دون اللجوء إلى ذات. نحن أمام فينومينولوجيا موضوعية؛ إن ما يظهر يظهر لعالم أو في عالم وليس لذات أو في ذات. ترسندالي العالم يعني أن العالم يصبح شرط ظهور الموجود كموجود. الموضوع يظهر دون ذات. في الوجود والحدث لم يكن للذات أي موضوع.

الجزء المخصص لـ هيغل في منطقيات العوالم هو (لاوجود الكل) في القسم الثاني من الكتاب المعنون بـ (المنطق الأكبر: الترسندالي). ثمة عرض ثلاثي: مفهومي، تاريخي، وصوري يترافق مع ثلاثة موتيفات: التنظيم الترسندالي للعالم، شرح الترسندالي، وسؤال ما الذي يكونه النفي في الظهور. الفصل عن هيغل هو فصل تاريخي.

هيغل هو المفكر بامتياز للتضايف بين الوجود والوجود المقيد (الظهور) وبين الماهية والوجود. المنطق الأكبر ليس ما يمكن أن يتخيله الفينومينولوجيون الورعون أو النحويون الليبراليون، ذلك أن المعنى اللغوي النمطي الذي أعطي للمنطق يتم إرجاعه بالكامل إلى عمليات ترسندالية أي للعمليات المنطقية التي تؤمنها نظرية الفئات الرياضية التي حفظت (نسخت!؟) المنطق. منطق هيغل ليس منطقًا نحويًا ولا فينومينولوجيا. ثمة إقتفاء لأثر الفكرة الهيغلية في حركتها وهي تسود تفصيلًا طريقة التفكير «هكذا نكون منصفين مع أبينا: سيد الجدل المثالي».

إذا كان الوجود كثيرًا فسيكون الكل كثيرًا وسيكون كثيرًا تفكريًا أو انعكاسيًا reflexive بقدر ما يُبدي نفسه كجزء من إبدائه الكثير الخاص به، ولهذا فإن الكثير غير المتفكَّر ينبغي أن يكون، بالتعريف، جزءًا من هذا الكثير. إذا لاحظنا هذا الجزء وسألنا هل هو متفكَّر أم لا فسنكون أمام التالي: إذا كان كذلك فانه لن يكون جزءًا من الكثير غير المتفكّر (تناقض). إذا كان غير متفكَّر، لأنه يُحْضِر كل الكثرات غير المتفكَّرة، فإنه سَيُحْضِر نفسه كجزء من هذا الكل وبالتالي سيكون متفكَّرًا (تناقض). وعليه فإن تفكير الكل هو تفكير غير متسق.

إنّ النفي لا يمكنه تأمين دينامية أو سيرورة تزمينية يتصيَّر فيها الكل متسقًا. بالضد من هيغل لا يمكن تهوية اللامتناهي مع الكل وقد أصبح (اي اللامتناهي) موقعيًا ومتعينًا «مثلث الكل: المباشر أو الشيء كوجود، الموسوط أو الوجود كماهية، المجاوز للتوسط أو الشيء تبعًا لمفهومه.. يلاحظ هيغل أن تفكير ثالوث الكل يجعله رباعيًا وهذا لأن الكل نفسه، كموسوط للحاصل، لايزال يقع وراء إنشائه الديالكتيكي».

المشكلة إذن كيف يظهر النفي في الظهور؟ يلعب النفي عند هيغل دورًا محوريًّا في توليد الرابط بين الوجود والظهور. على مبنى باديو لا يمكن ربط الوجود (الذي يفهمه رياضيًا) والظهور عبر منطق واحد أو دينامية زمنية للمفهوم. يقدم باديو هنا مفهوم المقابل (العكس) reverse الذي لا يسمح بتجوية الجدل، لأن المقابل لدرجة ظهور ليس متهويًا بالضرورة معها. إن النفي ليس هو الصلة الأساسية للظهور. يقول باديو أن السلبية negativity لا تنتج أي شيء جديد. إنها تدمر القديم لكنها لا تولد الجديد: ثمة حاجة لإعادة إنتاج مقولة النفي عند هيغل: المطلوب جدل إثباتي وبالتالي وضع النفي في صميم الظهور لا يلائمنا البتة. إن النفي مشتق. طبعًا هذا التصور يمليه على مبنى باديو أخذه بنظريتي التوبوس والمقولات [في الرياضيات]. المواجهة مع هيغل هنا ليست على مستوى رياضيات اللامتناهي بل على مستوى المنطق نفسه. المنطق المنشود هو المنطق الذي يتأتى لنا فيه قضايا فلسفية ملائمة لأشكال شتى من الجدة المبتكرة.

ثمة مشكلتان إذن: الأولى: كيف نخيط الوجود والظهور. النفي الذي يؤمن عند هيغل الانتقال من الوجود إلى الظهور يستعيض عنه باديو بعدما شطر الوجود والظهور بالذرة الواقعية الذي يعتبر أن وجودها هو مسلّمة للمادية ويعتبر أنها واقعية. الثانية كيف نفكر بالحدث؟ التفكير بالحدث في الوجود والحدث استند إلى الشعر بينما تقوّم الحدث في منطقيات العوالم سيستند إلى المنطق: الحدث هو شدّة مموضعة في الظهور. ليس للقصيدة أو الشعر من امتياز مخصوص هنا فيما يتعلق بالحدث.

إعداد وترجمة: فريق مركز الانماء القومي

من مقالتين لـ : Tzuchien Tho & A. J. Barlett

في كتاب : Badiou & Hegel: Infinity, Dialectics, and Subjectivity. Ed. Jim Vernon and Antoin Calcagno.